الخـــاتمـة

المؤكد أن أي بحث أكاديمي يرجى منه الوصول إلى نتائج معينة، وتحقيق أهداف وغايات محددة، وتختلف الطرق التي تسلك في سبيل تحقيق ذلك، بحسب التخصص الذي يبحث فيه ولذلك فالبحث في اللسانيات أو أحد فروعها يقتضي أن تكون النتائج علمية بعيدة عن التكهنات، خاصة الصوتيات الذي هو علم تجريبي مخبري يعتمد على الآلات والمخابر حتى في القديم فإن الصوتيين كانوا يعتمدون على التجريب الذي كان يتم بوسائل بسيطة.

وبتوفيق من الله عز وجل، وبعد مدة من الزمن استغرقتها في البحث والتقصي والجمع ثم التحرير والتأليف وبفضل توجيهات الأستاذة المشرفة على الباحث والبحث والنصائح التي فتحت لي أبواب الصبر على العثرات وتحمل الشدائد استطعت الوصول إلى إنجاز هذا البحث المتواضع الذي عساه يكون لفتة علمية إلى تراثنا العربي، وإضافة إلى بحثنا العلمي.

وقد جاء البحث متضمنا لنتائج هي أجوبة لإشكالية البحث صيغت بأكثر من سؤال، ولعل من أهم هذه النتائج:

1. وفرة المصطلحات العلمية المتعلقة بالصوتيات النطقية في الرسالة، وقد جاءت هذه المصطلحات في ثلاثة أقسام: آلة النطق أو الكلام، والمخارج، والصفات أو الهيئات.
2. علاقة المصطلحات الموجودة في الرسالة بعلم التشريح، وهذه العلاقة هي التي تجسد طبيعة الترابط بين المصطلحات والمفاهيم، فإدراك مفهوم المصطلح يقتضي النظر في معطيات علم التشريح الموجود في كتاب: القانون في الطب لابن سينا، وكتاب: شرح تشريح القانون لابن النفيس.
3. منهج ابن سينا المتميز في دراسة الأصوات، والمعتمد أساسا على التشريح والتجريب في الميدان، والإيجاز في العبارة، وكذا الاستعانة بالعلوم الأخرى.
4. منهجه المتميز أيضا والمتمثل أساسا في:

5. توظيف مصطلحات من علوم أخرى مثل علم التشريح والفلسفة والطبيعة، فابن سينا طبيب وفيلسوف قبل أن يكون صوتيا، ولذلك أخذ من معطيات علم التشريح والفلسفة والطبيعيات.
6. توليد المصطلحات العلمية مثل: سبب قريب، سبب بعيد... وهذا الذي جعل المصطلحات كثيرة والفوارق بينها دقيقة كما أن هذه الفوارق لا تفهم إلا بمعرفة الأسباب، أي أسباب حدوث الحروف، والعمليات الفيزيولوجية الحادثة عند نطق الحروف.
7. أكد ابن سينا من خلال رسالته مدى أهمية تحليل ظاهرة الصوت البشري بالاعتماد على علوم أخرى تساعد على الفهم.
8. إضافة ابن سينا للجديد في مجال المصطلحات، فقد خرج عن المعتاد والمكرر وأدرج مصطلحات لم تكن سائدة عند الصوتيين الأوائل مثل الخليل وسيبويه، وإن كان كل حلقة الفلاسفة مثل: الكندي والفارابي وإخوان الصفا، إلا أن دراسته جد متخصصة وهي الصوت اللغوي لا الصوت الطبيعي، فالكندي تحدث عن الأصوات اللغوية مقرونة باللثغة، والفارابي أورد بعضها في سياق الحديث عن الموسيقى، أما إخوان الصفا فقد مزجوا دراستهم بالمعارف الطبيعية فدرسوا الصوت بصفة عامة.
9. بروز مدى الترابط الشديد بين أفكار ابن سينا الواردة في الرسالة والواردة في كتب أخرى كالقانون في الطب والشفاء، ولذلك فمن الصعوبة فهم الرسالة دون الرجوع إلى كتبه الأخرى التي تحدث فيها الأصوات اللغوية وأعضاء النطق.
10. أهمية الاطلاع على التراث الصوتي العربي الذي ألف قبل ابن سينا، لأنه حلقة متكاملة وسلسلة من الدراسات والآراء المبينة لكثير من المسائل بالصوتية سواء عند النحويين، أو القراء أو الفلاسفة، فمعرفتها يساعد على فهم أفكار ابن سينا وتمثلها.
11. ليس كل ما قاله ابن سينا من أفكار وما وضعه من مصطلحات يمكن إيجاد مقابل له في الصوتيات الحديثة خاصة المصطلحات المتعلقة بأجزاء الغضاريف أو العضلات

أيض، لعل أقرب تفسير هو أن ابن سينا بحث في كيفية حدوث الحرف مما اضطره إلى الحديث عن أدق العمليات الفيزيولوجية مثل: حركات الغضاريف والعضلات.

12. أغلب المخارج المعروفة عند النحاة وعلماء التجويد لم يذكرها ابن سينا، سواء في رسالته أو في كتاب آخر، وعلة ذلك أن ابن سينا إنما قصد الحديث عن الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الحروف، وهذه الأسباب تتمثل في الهواء المتموج من الرئتين وحفزه بفضل الصدر والحجاب الحاجز، وكذلك حركات الغضاريف والعضلات... وغير ذلك.

13. كثير من صفات الحروف وهيئاتها لم ترد في الرسالة، وهذا خلافا للنحويين وعلماء التجويد، حيث اعتادوا أن يخصصوا جزءا من كتبهم يتحدثون فيها عن الصفات من الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، إلا أن ابن سينا ذكر بعضها وترك كثيرا منها، سواء كانت هذه الصفات متقابلة أو غير متقابلة.

14. بعض الصفات لم تنسب إلى الحروف مباشرة، وإنما نُسِبَتْ إلى حركة بعض الأعضاء وأجزاء الأعضاء، فالإطباق مثلا أضيف إلى اللسان (إطباق اللسان).

15. تناول ابن سينا الصوت من جونبه المختلفة الفيزيولوجية والفيزيائية والسمعية، وتكتمل هذه الرؤية عند الطلاع على كتبه الأخرى، والغالب على رسالة أسباب حدوث الحروف هو الدراسة الفيزيولوجية من حيث التطرق أسباب حدوث الحروف، وهذه الأسباب تكون بفعل فاعلية أعضاء النطق التي تؤدي دورها كحفز الهواء.

16. تَمَيُّزُ مصطلحات ابن سينا بالطول، وهذا ربما بسبب تطرقه إلى تفاصيل مراحل حدوث الحرف والأعضاء الفاعلة في حدوثه، وهذا هو الفرق بين الطبيب المشرح والصوتي الذي يعتمد على الحدس والتجربة الذاتية؛ فالخليل كان يعتمد في تحديده للمخارج على تجارب ذاتية تقديره للمخارج ولذلك غلب على مصطلحاته الإيجاز مقارنة مع مصطلحات ابن سينا .

17. اعتماد ابن سينا على نظام الفوارق بين المفاهيم كالتفريق بين الحرف والصوت وكان هذا منطلقه في رسالته وهذه طريقة علمية، لأنه بهذا التفريق يضع ضوابط لكلامه كل الأفكار التي تأتي في باقي الرسالة، فهو أحيانا يتحدث عن الحرف وأحيانا أخرى عن الصوت، وبهذا التفريق يزيل كل لبس .

16.18 اهتمام ابن سينا بالمصطلح في رسالته حتى إن القارئ أو الدارس يكاد يجزم بأن المؤلف بصدد دراسة المصطلحات بمفاهيمها وكي يحقق ذلك اعتمد على نتائج التشريح التي توصل إليها.

19. وجود علاقة كبيرة بين نتائج بحث ابن سينا الصوتية وما توصل إليه البحث المخبري التجريبي والتشريحي الحديث، وقد تبين ذلك من خلال العمليات الفيزيولوجية وبالخصوص في الحنجرة ودور العضلات في تغير حجمها وحركاتها وهذا له دور في طبيعة الأصوات.

20. غموض بعض المصطلحات التي أطلقها ابن سينا، فهي وإن كانت مضامينها وحقيقتها موجودة إلا أن الباحث يجد صعوبة في إسقاطها على البحث العلمي الحديث مثل مصطلحات: الضلعان السافلان والضلعان العاليان والضلع المنتصب.

فهذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ورسالة أسباب حدوث الحروف مازالت تكتنف مسائل مهمة في الصوتيات وعند توسيع الدائرة إلى فكر ابن سينا الشامل خاصة في موسوعيته جوامع الموسيقى والشفاء ، فإن الباحث يجد دراسات معمقة في حقل الصوتيات وهذا ما يزيد لتراثنا أهمية تدفعنا إلى ضرورة الانطلاق منه في البحوث والدراسات الحديثة.

وخلاصة هذه المذكرة المتواضعة أن البحث في المصطلحات التراثية يحتاج إلى آليات تتوافق مع فكر علمائنا الأوائل مع أهمية الاستعانة بالحديث، كما أن معرفة مصطلحات أي علم مطلب ضروري لأنها مفاتيح ذلك العلم، ويبقى المجال مفتوحا، والسعي إلى تبيين فكر ابن سينا ضروريا.